الحمد لله ولي المتقين، الإله الحقُّ المبين، منه المبتدأ, وعليه المعتمد, وبه نستعين .. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين .. وعلى آله وصحبه والتابعين .. ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ..

أما بعد: فإن لكلمات القرآن العظيم قوةٌ خاصة، تلهِمُ الأرواحَ وتنيرُ العقول وتحركُ القلوب .. ونحن أحبتي الكرام: بين يديِّ سورةٍ مباركةٍ عظيمة .. مقصدها الأعظم هو تقرير كمال قدرة الله جلَّ وعلا، واتقانه التامَّ لكل ما خلق، وشمول علمهِ المحيطِ بكل شيء، وتفرده سبحانه بالملك والتدبير، والحثِّ على تعظيمه وخشيته، والتحذير من عقابه وسطوته .. كما أنها تحملُ في طياتها دعوةٌ كريمةٌ لإعمال العقلِ وكافة الحواسِ من سمعٍ وبصرٍ لترتاد آفاق الكون، وطِباقَ السماء، ومناكب الأرض، وطيور الفضاء، وأغوار النفس، ومسارب الماء، فترى هنا وهناك, قدرة الله المبدعة، وحكمته البالغة، ورحمته الواسعة ..

سورة لها شأنٌ خاص، ومكانةٌ مميزة، تعيد للنفس راحتها وهدوئها .. وتشفع وتستغفر لقارئها، وقد صحَّ في فضلها قول المصطفى ﷺ: "إنَّ سورةً في القرآنِ ثلاثونَ آيةً شفَعت لصاحبِها حتَّى غُفِرَ لَه تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ" .. ولذا تسمى المنجيةُ والمانعة .. فعلى بركة الله نشرع في تفسيرها:

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك: 1]

يستفتحُ الله جلَّ وعلا هذه السورةَ العظيمة، بمطلعٍ جميل، وثناءٍ جليل، فيه من روعة التعبير، وبراعةِ الاستهلال مزجٌ جزيل، وتناغمٌ أصيل، فيثني الله جلَّ وعلا على نفسه العلية، ويمجدها بما هو أهله، فهو الذي (تبارك) وتعالى ذاتاً، وتقدَّس وتعاظم صِفةً، وهو الذي كثرُت خيراته، وعظمت بركاته، وعمَّت فضائلهُ جميع مخلوقاته ..

(الذي بيده الملك) كله، فهو المالك المهيمن, المتصرفُ فيه كيف يشاء، له مطلق الأمر والتدبير، وكمال القدرة والتقدير، لا يعجزه شيء، ولا يخرج عن أمره ومشيئته شيء، {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ..

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: 2]

أي (الذي) من فيض بركته، وكمال قدرته، وبالغ حكمته, (خلق الموت والحياة)، وقدَّرهما على كل موجودٍ (ليبلوكم) ويختبركم أيها العباد، حتى يظهرَ (أيكم) أشدُّ لله اخلاصاً، وللرسول متابعةً، فيكونَ بذلك (أحسنُ عملاً)، وبدأ بذكر الموتِ قبل الحياة, لأنه الأسبقَ وجوداً، والأقوى في النفوس أثراً، ولأنه نهايةُ الابتلاء، ومن بعده يأتي الحسابُ والجزاء .. ولئن كان أولُ الآيةِ شديداً علي النفس، فإنَّ في آخرها طمأنينةٌ وأُنس، تأمل: (وهو العزيز الغفور)، فالعزيزُ هو المنيعُ الغالبُ القاهر, الذي لا يُعجزهُ من أساء العمل، لكنه (الغفور) التَّوابُ لمن أنابَ وأصلحَ من أهل الزلل .. كما أنَّ في الآية ما لا يَخْفى من التَّرْغِيبِ في إصلاح النفس وتزكيتها، والترهيب من إهمالها وتهتكها ..

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ \* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك:3، 4] ..

و(الذي) أيضاً (خلقَ سبع سمواتٍ) هائلةٍ عاليةٍ البنيان، وسوَّاها في غاية القوة والروعةِ والإتقان، وجعلها (طباقاً) بعضها فوق بعض، بلا أساسٍ ولا عُمدٍ ولا أركان .. فيا أيها الناظر إليها، تأمَّل جيداً فيها، فهي من رحمة خالقها, خاليةٌ من الثقوب، سالمةٌ من العطوب، وليست السماءُ هي وحدها السالمة، بل (ما ترى في خلق الرحمان) كله (من تفاوتٍ) ولا عيوب .. وإن كنت غير متيقنٍ، (فارجع البصر) وتأكد: (هل ترى من) شقوقٍ أو (فطور)، هل تلحظُ صدْعاً أو خللاً أو فروجٍ .. (ثم) إن شئت فلا تتردد، (ارجع البصر) وانظر كرةً أخرى أو (كرتين)، فمهما كررت النظرَّ فلن ترى إلا البناء المحكم الرصين، وفي نهاية الأمر ستُسلِّم صاغراً و(ينقلب إليك البصرُ خاسئاً وهو حسير)، ويَؤُوبُ طرفُكَ يائساً وهو كسير ..

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ \* وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الملك:5, 6] ..

ومرة أخرى ينوه الله تعالى على كمال قدرته، وبديع خلقه وبراعته، فيقول جلت حكمته: (ولقد زينا السماء الدنيا)، أي هذه السماء التي تليكم، زيناها (بمصابيح) مضيئة، ونجومٍ لامعة، (وجعلناها) متعةً للناظرين، وهدايةً للسائرين، وحفظاً وشِهاباً رصداً و(رجوماً للشياطين)، فما يتجرأ أحدٌ منهم على استراق السمع إلا ويطاردهُ شِهابٌ مبين .. وأما في الآخرة فإنَّ جهنم موعدهم أجمعين، و(اعتدنا لهم) فيها ناراً محرقةً و(عذاب السعير) .. وليست الشياطين هي من وعد بهذا فقط، بل (وللذين كفروا بربهم) جميعاً (عذابُ جنهمَ وبئسَ المصير) ..

{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ \* تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ \* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ \* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ \* فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك:7- 11] ..

إنه مشهدٌ حيٌّ وعجيبٌ من مشاهد يوم القيامة، يصورُ بكل دقةٍ حالَ هؤلاء الأشقياء حين يُقذفون في النار قذفاً، وحالَ جهنمَ وهي تتلهَّفُ لإلقائهم فيها تلهُّفاً، فإنهم (إذا ألقوا فيها) من بعيد، (سمعوا لها) صوتاً عالياً يصمُّ الآذان، و(شهيقاً) مرعباً يزلزلُ الأركان، ورأوا ألسنة لهبها (وهي تفور) بهم أشدَّ من فوران البركان، وتُظهرُ لهم من قوةِ حنقها، وشدَّةِ غيظها، قدراً عظيماً لا يعبرُ عنه لسان، حتى إنها (تكاد تميَّز) وتتمزقُ (من) شدَّة ذلك (الغيظ) .. وحيث أنَّ جهنمَ أقسامٌ وطبقاتٍ، وشدَّة العذاب فيها أنواعٌ ودرجاتٌ، ولكلِّ قسمٍ منها ملائكتُهُ السجَّانون، وهذه الأقسامُ المختلفة من النار، (كلَّما ألقي فيها فوجٌ) بحسب عقوبتهم، (سألهم خزنتها) السجَّانون، سؤالَ توبيخٍ وتقريع، أما جاءتكم الرسل في الدنيا بالآيات والبينات، (ألم يأتكم) من ربكم (نذيرٌ) وبشير، (قالوا) وهم في قمة الألم والندم: (بلى) وربنا (قد جاءنا نذيرٌ) يُنذرنا، ورُسولٌ يرشدنا، ولكنا لبعدنا عن الحق (كذَّبنا) به، (وقلنا) لأولئك الرسل: (ما نزَّلَ اللهُ) على بشرٍ (من شيء)، لا وحيٍّ ولا آيٍ ولا كتاب، (إن أنتم إلا في ضلالٍ كبير)، وكلّ ما جئتم به أوهامٌ وكذبٌ وأساطير ..

ويستمر المشهد الحيُّ في وصف حالِ هؤلاء المكذبين، فقد رجعوا إلى أنفسهم لائمين، (وقالوا) في حُرقةٍ مُتحسرين، (لَوْ كُنّا نَسْمَعُ) سَماعَ من يقبلُ بالصدق، (أوْ) كنا (نَعْقِلُ) عقلَ من لا يرفضُ الحقَّ، لما وصلنا إلى هذا الحال المرير، ولـ(ما كنا) اليوم (في) جهنم من (أصحاب السعير) .. (فاعترفوا) بعد فوات الأوان (بذنبهم)، {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} [سبأ: 33]، (فسحقاً) وبُعداً لهم عن رحمة الله، ليسوا هم وحدهم فقط، بل و(لأصحاب السعير) كلهم، اعترفوا بذنبهم أم لم يعترفوا .. {فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [التوبة: 70] ..

ولما ذكر الله ما أعده في الآخرة للمكذبين الكفار، أعقبه بذكر ما أعده للمؤمنين الأخيار .. {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك: 12] ..

(إن الذين يخشون ربهم بالغيب)، وهم لم يروه، ويخافون عذابه وإن لم يعاينوه، ويطيعون الله سِراً وعلانية, رآهم أحدٌ من الناس أم لم يرهم، أولئك لهم (مغفرةٌ) واسعةٌ لذنوبهم، (وأجرٌ كبيرٌ) في الجنةِ جزاءً لإخلاصهم، والله ذو الفضل العظيم ..

ثم يخاطب اللهُ جميع المكلفين فيقول: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ \* هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: 13- 15] ..

(وأسروا قولكم) تهامساً وخافتوه، (أو أجهروا به) إعلاناً وارفعوه، فكلا الحالين عند الله سواء، كيف لا ؟، وهو الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، {يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}، (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، وما فيها من الخواطر والنيات والأسرار، (ألا يعلم) سبحانه سركم وجهركم، وهو (من خلق) الظلام والنور، والألسن والصدور، (وهو اللطيف) الذي أحاط علماً بما خفي من بواطن الأمور وظواهرها، (الخبير) الذي يعلم أدق حقائق الأشياءِ وجواهرها .. فمن لطفه ورحمته: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً) طيِّعةً ليِّنةً منقادة، فتحرثونها متى شئتم للإنبات، وتسوون منها الشوارع والطرقات، وتشقون فيها الجداول والقنوات، وتبنون عليها الدور والمنشآت، وتدفنون فيها المخلفات والأموات، وتنقبون في باطنها عن المعادن والثروات، وغيرها الكثير من المصالح والاحتياجات .. (فامشوا) أيها الناسُ (في) نواحي الأرضِ و(مناكبها)، وتحركوا حيث شئتم من أقطارها وجوانبها، وانتفعوا بكل ما سخرهُ الله لكم فيها، صناعةً وزراعةً وانتاجاً، (وكلوا) الحلال الطيب وما أخرجه الله لكم (من رزقه)، وما أكرمكم به من واسع فضله، ثم احذروا الركون الى متع الدنيا فإنها دار غرور، وتجنبوا الخبائث والمحرمات والشرور، ولا تنسوا شكر المنعم، فإنَّ إلى ربكم الرجعى، (وإليه النشور) ..

{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ \* أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ \* وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [الملك: 16- 18] ..

فيا معشر الكفار، أأمنتم سطوة الجبار: (أأمنتم من في السماء)، وهو الله الواحدُ القهار، والذي لا يخفى عليه شيءٌ من أمركم، ولا يُعجزه عقابكم، فكما جعل الله لكم سطح الأرض آمناً ذلولاً، فهو القادرُ سبحانه، على (أن يخسف بكم) سطح (الأرض)، ويغيبكم في باطنها، ويجعلها (تمور) بكم موراً عنيفاً، وتضطربُ اضطراباً شديداً، يكون معه دماركم وهلاككم المحقق ..

(أم أمنتم من في السماء)، وهو اللهُ الكبيرُ المتعال، (أن يرسل عليكم حاصباً)، وريحاً صرصراً قاصفاً، تقذفكم بالحجارة والحصى, حتى تهلكوا عن آخركم، (فستعلمون) حينها (كيف كان نذيرٌ) اللهِ لكم قوياً، وتهديده إياكم شديداً .. (ولقد كذب الذين من قبلهم) كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود، والذين كانوا يظنون كما ظننتم, أن كون الأرضِ ذلولاً مستقرةً، هو أمانٌ لهم من العذاب، (فكيف كان نكير) الله بهم، وانتقامه منهم ..

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ \* أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ \* أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [الملك:19- 21] ..

فيا عجباً لهؤلاء الكفار المكذبين، (أولم يروا) إلى عجيبَ قدرة الله، أولا يصرفون تفكيرهم (إلى الطير) بمختلف احجامها وأشكالها، فهي تحلق (فوقهم) باستمرار، أولا يتساءلون؟ كيف تظلُ معلقةً بهذا الشكل العجيب دون أن تسقط، أهو بسبب الأجنحة وكونها تمدها (صافاتٍ ويقبضن)ـها أحياناً ؟، كلا فـ(ما يمسكهن) عن السقوط (إلا) قدرة (الرحمن) سبحانه، {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: 50]، والخبيرُ بالأصلح والأنسبِ لكلٍّ منها، (إنه بكلِّ شيءٍ بصير) .. وإذا كان سبحانه كذلك، فيا معشر المعاندين: (أمَّن هذا الذي هو) بزعمكم (جندٌ) وعونٌ (لكم)، وقادرٌ أن (ينصركم من دون) مشيئة ورضا (الرحمن)، وأن يمنع عنكم خسف الزلازل وحمم البركان، (إن الكافرون) جميعاً (إلا في غرور)، قد خُدعوا بما في أيديهم من القوة والأسباب .. ويا أيها المعاندون: (أمَّن هذا الذي) بزعمكم, هو قادرٌ على أن (يرزقكم)، وأن يوفرَ لكم متطلباتكم، (إن أمسك) الرحمنُ عنكم (رزقه)، وحرمكم أكرمُ الأكرمين فضله .. ثم إن بقية الآية الكريمة، تبين أن هؤلاء المعاندين, لم يتراجعوا عن غيهم، (بل لجو) وتمادوا (في عتوٍّ ونفور)، واستمروا في عنادٍ وصلفٍ وغرور .. فالله المستعان على ما يصفون ..

{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الملك: 22]

هذا مثلٌ واقعيٌ محسوس، يضربه الله لحال الفريقين، الكافرين والمؤمنين، أيهما يا ترى أهدى سبيلاً ؟ ومن منهما الأقومُ قيلا ؟ ..

(أفمن) كان مطأطئ الرأس، منحني القامة، (يمشي مُكباً على وجهه)، حائرٌ في أمره، متخبطٌ في سيره، لا يستبين شيئاً من دربه .. أهذا (أهدى) وأقربُ وصولاً للمقصد، (أمَّن) هوَ مرفوعُ الرأس، معتدلُ القامة، ثابتُ الخطى، على ثقةٍ من أمره، (يمشي سوياً على صراطٍ مستقيم)، وطريقهُ مستويٍ لا اعوجاج فيه ..

إن مجرد النظر إلى حال هاذين الرجلين، ليُظهر الفارق الكبير بينهما، فكيف بمن يتأمل في أحوال المؤمنين والكافرين، لا شك أنه سيجدٌ الفارق أوضحَ وأكبر، فاعتبروا يا أولي الأبصار ..

ثم يقول الله جلَّ في علاه: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ \* قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الملك :23، 24] ..

فيا أيها الرسول: (قل) لهؤلاء المنكرين للبعث، إن الله جل وعلا (هو) الذي أوجدكم بعد العدم، وهو (الذي أنشأكم) أطواراً ومراحل، وهو الذي خلقكم في هذه الهيئة الحسنة، (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة)، وذلك لتدركوا مبدأ أمركم ومنتهاه، وحكمة الله في خلق الموت والحياة، ولتعلموا كم هي عظيمةٌ وكثيرةٌ نِعمُ الله، وأنكم عن آياته وذكره غافلون، وأنكم (قليلاً ما تشكرون) .. و(قل) لهم يا محمد أيضاً: أنَّ الله جلَّ وعلا (هو الذي ذرأكم في الأرض) وبثَّ نسلكم فيها .. وكما أنشأكم منها، وذرأكم فيها، فسيبعثكم منها تارةً أخرى، ثمَّ إليه مرجعكم، (وإليه تحشرون) .. فاتقوا الله واطيعون ..

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الملك :25، 26] ..

وحيث أن هؤلاء المعاندين، كانوا ولا زالوا في طغيانهم يعمهون، بل و(يقولون) لكم في تهكم مشين، {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [الصافات: 16]، (متى) سيتحقق (هذا الوعد) المزعوم، (إن كنتم) في دعواكم (صادقين)، فيا أيها النبيُّ (قل) لهؤلاء المشككين، إنني على ثقةٍ من ربي ويقين، وأما موعد البعث والحشر فـ(إنما العلم) به (عند الله)، ولا يعلم به أحدٌ سواه، (وإنما أنا) فقط, مُبلغٌ أَمِينٌ، و(نذيرٌ مبين) ..

وبعدها ينتقل المشهدُ مرةً أخرى ليوم القيامة: وكما هي عادة القرآن في الحديث عن مشاهد القيامة، يأتي الكلام بصيغة الماضي تأكيداً على حتمية وقوعه، ففي هذا المشهد كأنما يقال: ها قد جاء الموعدُ وتحقق أيها المكذبون، تأمل: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ} [الملك: 27] ..

 (فلما رأوه زلفةً) واقعاً متحققاً على مقربةٍ منهم، (سيئت وجوه الذين كفروا) فاسودت وكلحت، وعلاها القترُ والمهانة، وغشيها الرعبُ والهلع، وملأها الندمُ والحسرة، (وقيل) لهم علي سبيل التوبيخ والتقريع: أليس (هذا) هو الوعد (الذي كنتم به تدعون)، وله تستعجلون، {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [الأعراف: 39] ..

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الملك: 28] ..

فيا أيها النبي (قل) لهم قطعاً للجاجهم: (أرأيتم) أيها الآمنون من مكر الله وعذابه، (إن أهلكني الله) أنا (ومن معيَ) من المؤمنين، سواءً بالعذاب المذكور سابقاً أو بغيره، أو (رحمنا) ولطفَ بنا فلم يعذبنا، (فمن يجيرُ الكافرين)، ويحميَهم (من عذابٍ أليم)، وهم ما زالوا في غيهم سادرين، وعلى كفرهم مصرين ..

{قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك: 29، 30] .. ويا أيها النبيُّ (قل) لهم: إنما إلاهنا: هو الله (الرحمن) الرحيم، (آمنا به) وصدقنا، (وعليه توكلنا) واعتمدنا، وبه وثقنا وتعلقنا، وإن لم تؤمنوا به, (فستعلمون من هو في ضلالٍ مبين) .. ومن الذي منا أو منكم كان على الحق المبين ..

ويا أيها النبي (قل) لهم أخيراً، (أرأيتم إن) جفت غدرانكم، ونضبت آباركم، و(أصبح ماؤكم) الذي لا حياة لكم بدونه، نازلاً بعيداً جداً عنكم، (غوراً) لا تصله قدرتكم، (فمن يأتيكم بماءٍ معين)، عذبٍ سهل التناول قريب .. والجوابُ المقدر: ليس لكم من أحدٍ سوى الله، فأني تؤفكون ..

وهكذا كانت هذه السورة الفريدة .. كنزٌ من الحكم البليغة، والعبر الملهمة، والتوجيهات القيمة ..

فبارك الله لنا ولكم في هذا القرآن العظيم، وجعلنا وإياكم من أهله الخاصين، ونفعنا ونفعكم بما فيه من الهدى والذكر الحكيم .. سبحان ربك ربِّ العزة .....